

دير الانبا انطونيوس

ترجع فكرة التنسك الى الطبيعة البشرية ، التي تخالجهما أحياناً الرغبة في الصدوف عن متاع الحياة المادية ، فيميل الانسان إلى الزهد فيها ، ويعتزل العالم ، ويخلو إلى الوحدة ، للعبادة والتأمل . ووجد التنسك عند الأمم التي كانت تؤمن بالبعث وخلود النفس ، فعرفه كثير من الشعوب والأقوام كالهنود والمصريين واليونان واليهود . والمصريون منذ فجر التاريخ كانوا يؤمنون بالبعث ، وكانوا يستعدون للحياة الأخرى ؛ وهم قد اعتنقوا المسيحية التي أشعلت مبادئها في قلوبهم حب الزهد والتقشف . ثم أن ظلم الحكام من الرومان قد أذكى في نفوس البعض منهم حب العزلة ، فهجروا المدن إلى الصحراء والكهوف .

وفي مصر ظهرت الرهبة لأول مرة في المسيحية . وبدأت بنظام العزلة المطلقة ، ثم تطورت إلى نظام الجماعات في قلايات متقاربة . ثم انتهت بإنشاء الأديرة . والقديس بولا يعتبر من السابقين في إنشاء نظام الرهبة ؛ ولكن فكرة الرهبة قد تركزت وتبلورت حول شخصية القديس أنطونيوس الذي يعتبر أبا الرهبانية .

ولد القديس أنطونيوس عام ٢٥٤ م ، في بلدة كوما (فن العروس) ، بمرکز الواسطى . وكان من أسرة غنية ، وتلقى تربية دينية . ومات أبوه وهو في سن العشرين ، فقام بتدبير أملاكه بعض الزمن ؛ ولكن سرعان ما تملكه حب العزلة والتنسك ، فباع أملاكه ووضع أخته مع جماعة من المتبتلات ، وفي سنة ٢٨٥ م خرج إلى بسبير ، بين اطفيج وبنى سويف ، في المنطقة التي شيد عليها دير الممنون ، وعاش هناك عشرين سنة ؛ واجتمع حوله بعض الاتباع والمريدين . وفي سنة ٣١١ م ، في عهد اضطهاد الامبراطور مكسمنيوس للمسيحية ، انحدر إلى المدن في رهط من رهبانه ، لتشجيع المضطهدين . وزار

وأبو صالح الأرمني يذكر أن إنشاء دير أنطونيوس كان بعد وفاة القديس بزم من قليل . وكانت مساحته في أول الأمر لا تتعدى الثلاثة أفدنة ؛ وكان يحتوى على كنيسة واحدة وبعض الأبنية التي يحوطها سور ؛ وكان يتعرض أحياناً لغارات البدو . والأمبراطور جستنيان كان قد أسكن بعض الرهبان الممسيكين في دير أنطونيوس في النصف الأول من القرن السادس للميلاد فقاموا بتجديد بعض أبنيته وأسواره . ولا يعرف بالضبط هل ظل الرهبان الأقباط بالدير ، أم بقوا مع الممسيكين . وعلى كل حال فإن أبا صالح الأرمني وجد الدير في يد الأقباط عندما وضع كتابه ، في أوائل القرن الثالث عشر ومعلوماتنا عن الدير قليلة ، حتى العصر الحديث . ونعلم أنه في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، قد خالف الرهبان قواعدهم ، واتخذوا لهم من البدو خدماً . ففي إحدى ليالى سنة ١٤٨٤ ، فتك الخدم بأغلبية الرهبان ، ثم رحلوا عن الدير . وظل الدير لفترة حوالى سبعين سنة ، نهياً للبدو الذين كانوا يحلون به ويرحلون عنه وقتما شاؤوا . وظل الأمر كذلك حتى تولى البطريك غبريال الثامن ، فأصلح الدير ، وأقام فيه طائفة من رهبان وادى النطرون (١٥٥٠ — ١٥٦٠) . وإلى ذلك العهد يرجع الكثير من معالم الدير في حالته الراهنة ، إلا أنه لم يستعد نشاطه السابق ؛ فعصر التنسك ، الذي كان سائداً في القرنين الرابع والخامس للميلاد ، كان قد انقضى ، ولم يعد يصبح رهبان الصحراء قديسين .

وفي هذا الدور من الاضمحلال بدأ عهد زيارات الرحالة للدير . فمن الذين زاروه فانمسلب في سنة ١٦٧٢ ؛ وكوبان في سنة ١٦٨٦ ؛ وسيكار في سنة ١٧١١ . وبوكوك في سنة ١٧٤٣ . وهؤلاء الرحالة قد أفادونا بأن الدير لم يكن في حالة مرضية ، وكان يتعرض أحياناً لغارات البدو ؛ وأبنيته لم تكن نظيفة ، وبعضها كان يهدد بالسقوط .

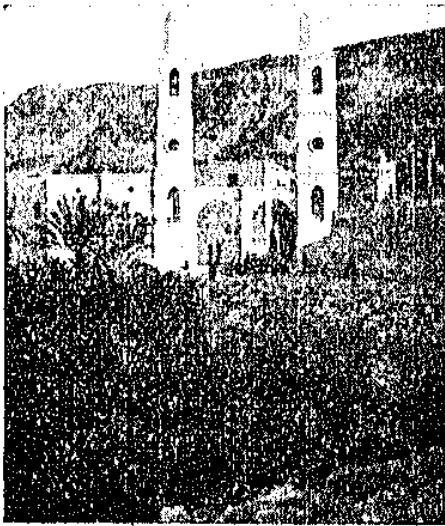
وبعد منتصف القرن الثامن عشر يدخل الدير في عهد اصلاح وتجديد

بواسطة بعض أغنياء الأقباط . فمثلا لطف الله شاكر قد أعاد بناء كنيسة
الرسل في سنة ١٧٧٢ : و ابراهيم الجوهري جدد الساقية وأصلح أسوار الدير
في سنة ١٧٨٣ ، التي أثبتت فائدتها في فترة الفوضى التي سادت مصر في نهاية
الاحتلال الفرنسي . ولكن سرعان ما استتب الأمن في الصحراء الشرقية
بعد سنوات قلائل من حكم محمد علي .

وفي سنة ١٨٥٤ بدأ عصر ازدهار لدير أنطونيوس ؛ فلما أصبح رئيس دير
أنطونيوس البطريك كيرلس الرابع ، أعاد إصلاح الدير ، فوسع مساحته حتى
بلغت ثمانية عشر من الأفدنة ، و جدد الأسوار ، وأنشأ قلايات جديدة ،
وهكذا . ويقال إن سعيد باشا كان قد استدعى البطريك كيرلس الرابع
لتسوية خلاف نشأ بين الحبشة ومصر بسبب الحدود ؛ فاعتذر كيرلس عن
ذلك لانشغاله بإصلاح الدير ؛ فأخذ الوالي على نفسه إكمال الإصلاح ،
وسافر البطريك إلى الحبشة .

دير أنطونيوس كما هو الآن

المسافر بالسيارة عن طريق رأس الزعفرانة ، بعد انطلاقه في وادي



برجان بدير الانبا انطونيوس

العرابة ، ومقتربا من حافة جبال
القاللة الجنوبية ، يلمح على بعد ،
بقعة تعلو فيها أشجار النخيل ،
ويحوطها سور طويل ؛ وإذا ما اقترب
منها زادت له وضوحاً ، حتى يستبين
المكان . ويشعر الداني من الدير
بالسكون الشامل ، وهو يعلم أن
خلف الأسوار ، منازل عالية ، ومياها
جارية ، ورجالا أحياء . ويستقبل

رجال الدير الزائرين بالحفاوة والكرم . ولا يضم الدير الآن بين جدرانہ أكثر من ثلاثين راهباً . وهو يمتلك حوالى ٨٠٠ فدان فى وادى النيل ، ومنها يصل القمح والمؤن مرة فى الشهر . ويستخرج الدير كميات من البلح وأحجار البناء ، ويرسلونها إلى وادى النيل . ومبانى الدير الحالية ، باستثناء كنيسة القديس أنطونيوس ، وحائط قديم يقع فى جنوب الدير ، لا ترجع إلى ما قبل إعادة بنائه فى الفترة بين سنتى ١٥٥٠ و ١٥٦٠ . ولنستعرض الآن أهم مبانيه .

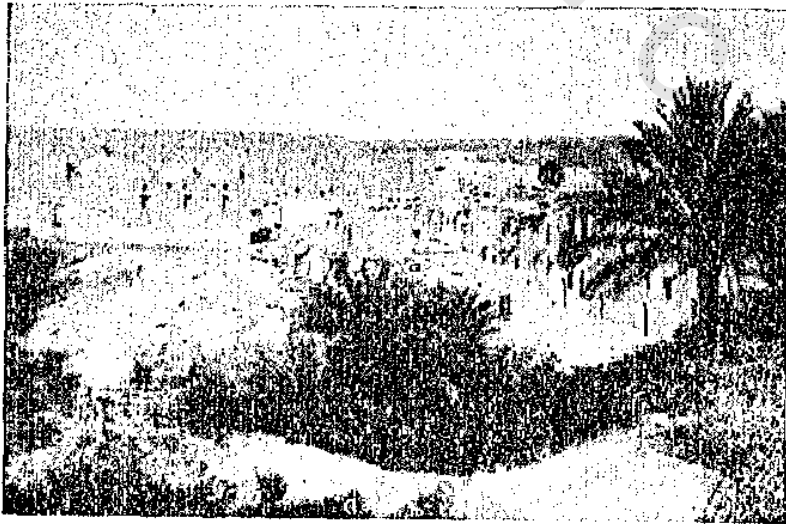
كنيسة القديس أنطونيوس : هى أقدم وأهم بناء فى الدير من الوجهة الأثرية . وليس من الثابت بعد تاريخ إنشائها ، سواء فى حياة القديس أو بعد مماته . ويبلغ طولها نحو العشرين متراً وعرضها نحو العشرة أمتار ، وتنقسم من الداخل إلى أربعة أقسام : قسمين للمصلين ، وقسم للشيوخ ، والقسم الأخير وفيه الهيكل الثلاثة . ويعلو هذه الأقسام القباب . والقسم الأول يزين جدرانہ بعض الرسوم على الحوائط ، وهى فى حالة سيئة ، وترجع إلى العصر البيزنطى المتأخر ، ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر . ومن هذه الصور نجد واحدة تمثل المسيح مع بعض الرهبان والملائكة ، وأخرى تمثل العذراء مع ثعبان موسى ، وثالثة تمثل مار جرجس فى زى ثياب رومانية ، ويمتلى جواداً ، ويطعن تينياً . وبالقسم الثالث مذبح قديم ؛ وفيه مصابيح معلقة ، تعلوها بيضة نعام ، استعملت فى الأصل لى تحول دون سقوط الجرذان فى زيت المصابيح . والقسم الرابع يحتوى على ثلاثة هياكل ، وهى مربعة تقريباً ، وتنتهى بفجوة فى الحائط الغربى ، ويتوسطها مذبح حجرى ، تعلوه قبة خشبية .

كنيسة بطرس وبولس أو كنيسة الرسل : شيدت على أنقاض كنيسة أخرى ، فى النصف الثانى من القرن السادس عشر . وهى تمثل الفن القبطى القديم ؛ وهى مربعة الشكل ومسقفة بتسعة من القباب ، ومقسمة إلى أربعة

أقسام . ومن الصور التي بها واحدة تمثل القديس أنطونيوس وخنزيره .
كنيسة مرقص : شيدت على أنقاض كنيسة أخرى ، في سنة ١٧٦٦ .
وهي تقع بالقرب من السور الشرقي . وهي تشبه السابقة ، وتعلوها اثنتي عشرة
من القباب .

القصر أو الحصن : عبارة عن معقل يُلجأ إليه الرهبان وقت الخطر .
شيد في فترة إعادة تعمير الدير (١٥٥٠ — ٦٠) ، على أساس معقل قديم ؛
وتبلغ مساحته ٢٠٠ متر مربع ، وبه ثلاث طبقات ؛ وبابه في الطابق الثاني ،
حتى لا يسهل اقتحامه . ويصل إليه الماء بواسطة أنابيب من الفخار ممتدة من
نبع الماء ، تحت الأرض . وفيما سبق كان يحفظ به بعض المخطوطات وبعض
الآثار الثمينة . وفي أعلاه نجد كنيسة القديس ميخائيل ، حامي المعذبين من
أجل الدين .

وتوجد بناية يرجع إنشاؤها إلى عهد إصلاح الدير في القرن السادس
عشر . وتشمل المكتبة في الطابق الأول ، وتحتوى على ما يقرب من الألف
مجلد ؛ وإلى جانبها نجد قاعة الطعام ، وطولها ١٥ متراً وعرضها ٤ أمتار ،
ويتوسطها مائدة طويلة . ويتناول فيها الرهبان طعامهم في يومى السبت والأحد .

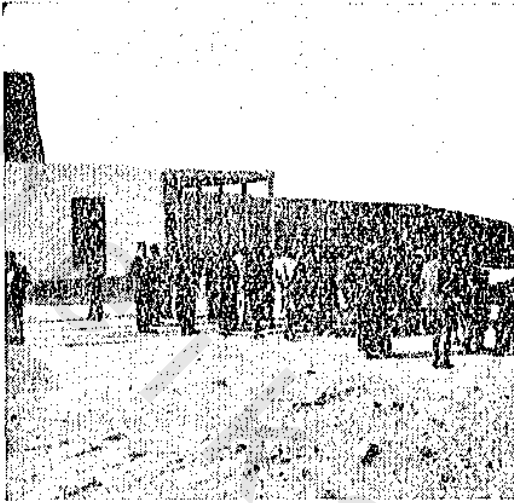


دير الأنبا أنطونيوس : بعض الأفلايات والكنيسة الجديدة

وفي الطابق الثاني لهذه البناية نجد كنيسة العذراء ؛ ومن المحتمل أنها شيدت بعد سنة ١٧٣٠ .

القلايات : يوجد بدير أنطونيوس قلايات قديمة داخل السور القديم ؛

وأخرى حديثة في خارجه .
وهي تتكون من طابقين ؛
وتحتوى على حاجات الرهبان ،
كالفراش وبعض أدوات الطهي .
وفيها يتناولون طعامهم أغلب
أيام الأسبوع .



قصر الضيوف : قد أنشأه
كيرلس الرابع في منتصف القرن
التاسع عشر ، وهو يتكون من

أعضاء الرحلة أمام قصر الضيوف
أربع غرف وبهو مستطيل ؛ ويجد فيه الزائر كل أسباب الراحة ، أثناء إقامته
بالدير .

الحديقة : للدير حديقة واسعة ينمو فيها النخيل وأشجار الخوخ والمشمش
والبرتقال والزيتون والخروب والكروم ؛ كما تنمو بعض الخضروات .
ويستخلص الرهبان من العنب نبيذ « الأباركة » لأقامة الشعائر الدينية .
وتروى الحديقة بسهولة ، لانحدار سطحها ، ولوجود عين الماء في أعلى
نقطة بها .

شونة المعيز : يقال إنه أثناء غياب كيرلس الرابع في الحبشة ، بنى أمين
الدير سوراً ضم صخرة خارج الدير ومعها مساحة واسعة من الأراضي ، كان
يعتليها البدو لتهديد الدير . وتستخدم هذه المنطقة لحفظ الماشية وأغلبها
من الماعز .

المدخل والساقية : يرجع الباب الحديدي الكبير إلى سنة ١٨٥٤ وفتح

للكافة الزائرين في أوائل القرن الحالى . وكان دخول الدير قبل ذلك عن طريق «الساقية» التى تقع غربى المدخل الحالى ، والتى أنشئت فى سنة ١٧٨٣ . وهى عبارة عن اسطوانة خشبية تتحرك حول محور رأسى ، وبها حبل يمر على بكرة حديدية معلقة فى السقف ، ويتبدل الحبل لرفع الأشخاص . وتستعمل الساقية الآن فى رفع مؤونة الدير .

عين الماء : توجد فى جنوب الدير وهى التى عينت موقعه . وتنبع العين الرئيسية من مغارة طويلة كانت قبلاً خارج الدير ؛ وأدخلها كيرلس الرابع ضمن حدوده وتحتوى المياه على نسبة قليلة من الفسفور .

أسوار الدير : يتراوح ارتفاعها بين العشرة والاثنى عشر متراً ؛ ويزيد سمكها عن المترين . وسطح الأسوار غير مستو لعدم استواء سطح الأرض . وكان للدير أسوار قديمة فى القرن السادس الميلاد . ثم أصلحت أسواره فى منتصف القرن السادس عشر بواسطة البطريك غبريال الثامن . كما أعيد إصلاحها على يد إبراهيم الجوهري والبطريك كيرلس الرابع ؛ وجعلت الدير الآن كالحصن المنيع .

مسن عثماني

بعض المصادر :

— حبشى وتاوضروس : فى صحراء العرب والأديرة الشرقية .

القاهرة ، ١٩٢٩

Abu Saleh = Churches and Monasteries of Egypt. trans. Evetts. Oxford, 1895.

Butler = Ancient Coptic Churches of Egypt. Oxford, 1884.

Coppin = Le Bouclier de l'Europe. Lyon, 1686.

Fedden, M. H. = A Study of the Monastery of St. Antony. Bulletin of the Faculty of Arts. May, 1937.

Pococke = A Description of the East. London, 1734.

Vansleb = The Present State of Egypt. London, 1673.